وسائل نوال نعمة المسيح ونتائج ذلك

1 – نوال فوائد إنجيل المسيح من خلال العمل الخفي للروح القدس

إن عمل المسيح الخلاصي يكون بلا فائدة لنا إذا لم نتحد بالمسيح . فلايمكننا أن ننال بركات الله التي يضمنها عمل المسيح إلا من خلال الروح القدس: " اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا " (1كو 6 : 11) . فالروح القدس هو الرابطة التي تربطنا بالمسيح بل هو رباطة اتحادنا بالمسيح .

وقد أعطي للروح القدس في الكتاب المقدس ألقاب كثيرة :

(أ) فهو يسمى **" روح القداسة "** لأن عمل الروح القدس ينشيء فينا بداية الحياة السماوية ومن هنا تنبأ الأنبياء بانسكاب عظيم للروح القدس في ملكوت المسيح .

(ب) ويسمى أيضاً " **روح الآب " و " روح الابن "** في نفس الوقت ؛ وقد جاء ذكر هذين اللقبين في آية واحدة في رومية 8 : 9 " وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم ، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له " .

(ج) وهو **" روح التبني "** ، لأنه يشهد بالدليل الواضح على صنيع الله ونعمته المجانية التي بها دعانا لنكون أبناء له . والروح القدس يعلمنا أن يكون لنا ثقة أمام عرش النعمة ، وفي التطلع إلى الله باعتباره أباً لنا .

(د) وهو **" عربون ميراثنا "** ، من السماء وفينا ، يحرك الروح القدس كياننا الباطن مؤكداً لنا أن خلاصنا يقيني وثابت .

(هـ) وهو **" ماء الحياة "** ، أسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة ، أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك " (اشعياء 44 : 3) .

(و) و **" دهن المسحة "** ، " وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس " ، " ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء " (1يو 2 : 20،27) . فالروح القدس يفرزنا على اعتبار أننا المتعلمون من الله .

(ز) و **" نار "** : فالروح القدس يحرق ما فينا من زغل وشوائب قذرة ، ويضرم في قلوبنا حب الله وحب التقوى " هو سيعمدكم بالروح القدس ونار " (لوقا 3 : 16) .

إن العمل الخصوصي للروح القدس هو منحنا الإيمان الذي يأتي بنا إلى نور الإنجيل . ونتعلم من بشارة يوحنا أن " كل الذين قبلوه ، أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله " (يوحنا 1 : 12،13) . هذه المقابلة بين الله وبين الجسد والدم تشير بوضوح إلى أن القوة التي بها نقبل المسيح هي هبة علوية تعطي للمؤمنين من فوق ، ولو لم تعط لهم لظلوا غير مؤمنين . وهي نفس الحقيقة التي نتعلمها من كلام الرب لتلاميذه : " وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكن فيكم " (يوحنا 14 : 16،17) .

2 – الإيمان وصفاته المميزة

لقد سبق فأوضحنا ثلاث نقاط هامة هي :
(أ) أن هناك قصاصاً رهيباً قد وقع علينا بسبب كسرنا للشريعة التي أعطاها الله.

(ب) أنه من المستحيل على الإنسان الذي سقط بسبب الخطية أن يحفظ أو يتمم الشريعة ، وإذا اتكلنا على أنفسنا فلن يكون لنا أي أمل في الهروب من الموت الأبدي .

(ج) لا يوجد إلا طريق واحد لإنقاذنا من هذه الكارثة الرهيبة ، هو طريق الفداء والحرية التي بالمسيح . وقد وعد الآب السماوي بهذا الفداء وهذه الحرية ، للذين يتكلون على رحمته ، في المسيح ، بإيمان حقيقي ورجاء وطيد .

والآن علينا أن نتأمل في معنى هذه الكلمة " إيمان " . هناك الكثيرون من الناس لا يعني الإيمان بالنسبة لهم أكثر من التصديق بأن حياة المسيح حقيقة تاريخية . وحتى لو قالوا بأن الله هو موضوع الإيمان فإنهم لن يقتربوا من فهم معنى الكلمة . لأن الله ساكن في نور لا يمكن لأي إنسان أن يدنو منه ، والمسيح وحده هو الذي يرينا الطريق إليه . فالمسيح – كما يقول عن نفسه – نور العالم (يوحنا 8 : 12) وهو أيضاً " الطريق والحق والحياة " ، " لأنه لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له " . (يوحنا 14 : 6 ، لوقا 10 : 22) .

ويشهد بولس الرسول بأن مجد الله إنما يرى في شخص ابن الله ، وأن إنارة معرفة مجد الله تشرق في قلوبنا في وجه يسوع المسيح (2كو 4 : 6) . فإيماننا الذي ينبغي أن يكون في الإله الحقيقي وحده ، ينبغي أيضاً أن يستند على يسوع المسيح الذي أرسله . (يوحنا 17 : 3) فإن لم يشرق علينا نور المسيح ، يظل الله محجوباً عنا تماماً .

لا يوجد شيء يسمى بالإيمان الضمني ، فإن وجد فإنه يعني بصراحة الجهل المطبق . إن مجرد أن يفعل الشخص ما تأمر به الكنيسة دون فهم لا يعد إيماناً . فالإيمان ليس هو الجهل ، بل هو معرفة الله ومعرفة إرادة الله . إن الإيمان يتكون من معرفة الله والمسيح ، وليس مجرد احترام الكنيسة . إن كل الكتاب يعلم بأن الإيمان الحقيقي يكون مصحوباً بالفهم المستنير .

كذلك ينبغي أن ندرك أنه لا يمكن معرفة المسيح ، موضوع إيماننا ، إلا من خلال بشارة الإنجيل . فإيماننا يجب أن يستند على كلمة الله . يقول يوحنا إن بشارة الإنجيل قد كتبت " لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه (يوحنا 20 : 31) . والواقع أن الإيمان الذي لا يتأسس على الكتاب المقدس ، يكون أشبه بقصص الخرافات والضلالات .

وقد نتعجب ماذا في كلمة الله حتى إن إيماننا يجب أن يرتكز عليها . إن الإيمان ليس مجرد معرفة إرادة الله ، بل هو معرفة إرادة الله الصالحة ورحمته الكريمة . نحن في حاجة إلى وعد الله بالنعمة الذي يظهر لنا فيه أنه الآب الرؤوف. ومن هنا يكون التعريف الصحيح للإيمان كما يلي : إن الإيمان هو معرفة ثابتة أكيدة عن إرادة الله الصالحة من نحونا ، معرفة مؤسسة على صدق وعد الله الكريم في المسيح ومعلنة لأفهامنا ومختومة على قلوبنا بالروح القدس .

استخدامات مختلفة لكلمة " إيمان " :

لا نود أن نربك أنفسنا بالطرق المختلفة التي بها تستخدم هذه الكلمة . لذلك نكتفي بانتقاء بعض المعاني ونميز فيها بين الصحيح وغير الصحيح .

(أ) يرى البعض أن هناك شيئاً يقال عنه الإيمان غير المحدود أو الإيمان الغامض. ويطلقون هذا التعريف على إيمان الناس الذين قد يؤمنون بصدق الكتاب المقدس دون أن يكون لهم أي توقير أو احترام لله . لكن بولس يقول : " لأن القلب يؤمن به للبر " (رومية 10 : 10) . فإذا ما وصل إيمان ما إلى الرأس فقط دون القلب فلا يعد إيماناً حقيقياً على الإطلاق . وفوق ذلك فإن الإيمان هو معرفة المسيح الذي لا يمكن معرفته بدون قوة روحه القدوس ، القادر على تقديس وتطهير القلب والحياة .

(ب) ويعتقد كثيرون بوجود الله وبصحة النسيج التاريخي للكتاب ، وقد يبذلون محاولات لإطاعة الوصايا ، لكن إذا لم يكن لديهم طاعة حقيقية خالصة لإرادة الله، فإن إيمانهم لا يكون إيماناً حقيقياً ، فإنه لا إيمان بغير طاعة حقيقية . قد يظنون أن لهم إيماناً لأنهم ينظرون إلى كلمة الله باحترام ووقار . لكنهم مع الأسف ليس لهم إيمان حي مثمر ودائم .

(ج) وقد تستخدم كلمة إيمان بمعنى التعليم الصحيح أو العقيدة السليمة ، وخير مثال على ذلك حديث بولس لتلميذه تيموثاوس : إن الخادم الصالح ليسوع المسيح يجب أن يكون " متربياً بكلام الإيمان الحسن الذي تتبعته " (1تيمو 4 : 6) .

طبيعة الإيمان الحقيقي

عندما حددنا معنى الإيمان بأنه " المعرفة الثابتة الأكيدة " فنحن لا نعني ذلك النوع من المعرفة التي تكون لدينا عن الأشياء باستخدام حواسنا الطبيعية ، لكننا نعني معرفة فائقة أسمى وأعلى من فكر الإنسان . يكتب بولس الرسول عن المعرفة الفائقة فيقول : " ..وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة " (أفسس 3 : 19) . ويتكلم الرسول يوحنا ، بحق ، عن الإيمان كمعرفة ، عندما يشهد بأن المؤمنين يعرفون أنهم أبناء الله " الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو " (1يو 3 : 2) ، فالمعرفة التي تقود إلى الإيمان تحتوي على اليقين أكثر من احتوائها فقط على الفهم .

إن الإيمان يتطلب اليقين الكامل ويسعى إليه ، مع أن عدم الإيمان متأصل في قلوبنا ، لدرجة أنه لا يوجد إنسان يصل إلى الاقتناع التام بالإيمان بالله دون صراع عنيف . ولعلاج مرض عدم الإيمان هذا ، فإن الروح القدس يتكلم بكلمات سامية عن سلطان كلمة الله ، فيقول : " قول الرب نقي ، ترس هو لجميع المحتمين به " (مزمور 18 : 30) .

هناك كثيرون من الناس غير متيقنين من رحمة الله نحوهم . هم يرون رحمة الله على أنها عظيمة وكاملة ، لكنهم يشكون في إمكانية التمتع بها . لذلك تراهم في اضطراب مستمر بسبب عدم التأكد واليقين . أما نحن فنملك التأكيد واليقين من الكتاب المقدس ، فنحن بالمسيح " لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة " (أفسس 3 : 12) . فالمؤمن يملك يقيناً وتأكيداً ثابتاً بأنه قد صولح مع الله ، وأن الله هو أبوه المحب الشفوق الرحوم . إن المؤمن الحقيقي يقول بثقة مع بولس : " فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ، ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا " (رومية 8 : 38،39) .

كثيرون يختبرون تذبذباً في التأكد من رحمة الله ، وهذا أمر متوقع . وبالرغم من أننا نشعر بصراعنا المستمر لكي نثق ، ضد مقاومتنا الذاتية ، لكن المؤمن الحقيقي لا يطرح مطلقاً ثقته الثابتة في رحمة الله . ويعد داود مثلاً حياً على هذه الحقيقة . كان داود رجلاً يملك إيماناً ثابتاً في الله ، ومع فقد عاني صراعاً قوياً ضد عدم الإيمان ، حتى صرخ قائلاً : " لماذا أنت

منحنية يا نفسي ، ولماذا تئنين في ، ترجي الله لأني بعد أحمده " (مزمور42 : 11؛ 43 : 5) . إنه أمر مبارك أن إيمان الشخص التقي في مثل هذه التجارب والتساؤلات ، يحرز انتصاراً على الصراع ويتشدد بالرب : " انتظر الرب ، ليتشدد وليتشجع قلبك " (مزمور 27 : 14) .

ويمكننا أن ندرك السبب وراء هذه الصراعات الداخلية ، عندما نتذكر أننا سبق أن تعلمنا – في هذه الدراسة – أن المؤمن يتكون من جسد ونفس . يكون المؤمنون سعداء بمعرفة صلاح الله ووعده بالخلاص ، لكنهم يكونون تعساء بمعرفة كثرة إثمهم . فالمؤمن أثناء وجوده على الأرض لا يكون إيمانه قد اكتمل بعد ، فهذا الكمال أمر نظل نرتقبه إلى أن نصل إلى السماء . لكن يمكننا أن نظل أيضاً على يقين بأنه حتى ولو اهتز إيماننا فإننا لن نفقده تماماً . " هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا " (يوحنا 5 : 4) .

وهناك نوع آخر من الخوف ، هو في الواقع خوف نافع إيماننا إن المؤمنين عندما يرتعدون وهم يتأملون في أمثلة عقاب الله للأشرار ، فإنهم يتعلمون أن يحذروا وينتبهوا لأي موقف قد يغضبون الله فيه بأفعالهم الخاطئة " إذن من يظن أنه قائم فلينظر ألا يسقط " (1كو 10 : 12) . إن بولس بهذه العبارة يحذرنا من الثقة الزائدة في أنفسنا تلك الثقة التي تستند على قدراتنا الذاتية . عندما نقرأ قول الكتاب في فيلبي 2 : 12 " تمموا خلاصكم بخوف ورعدة " لا يمكن أن تكون لنا أية ثقة في أنفسنا على الإطلاق .

إن إيماننا يستند على إرادة الله الصالحة للخلاص والحياة الأبدية . إن طبيعة محبة الله تعني أن خلاصنا مضمون ومحفوظ حفظاً مطلقاً . لو أن هناك رجلاً غنياً غير متأكد من أن الله يحبه ، فإنه يبقى تعيساً وعلى العكس ، فإن إنساناً فقيراً متأكداً من محبة الله له ، يبقى على يقين وتأكيد بأن الله لن يتركه أو يتخلى عنه .

قلنا في تعريفنا للإيمان : أن الإيمان هو المعرفة المؤسسة على الوعد الكريم لله . وذلك لأن من الثابت أن الإيمان ينمو عن طريق الوعود غير المشروطة أكثر من نموه عن طريق الأوامر والتهديدات . إن وعود الله موجودة في الكتاب المقدس ، لكن الإنسان لا يكون قادراً على قبولها إلى أن يستنير بعمل الروح القدس ، بل إن الإنسان في حاجة بعد ذلك للروح القدس

ليقوي قلبه وإرادته. إن قبول كلمة الله بالذهن فقط ليس كافياً لأنه يجب أن يقبلها الإنسان بالإيمان ، وعلى ذلك فإنه يجب قبول كلمة الله بكل كيان الإنسان : بالقلب والعواطف والإرادة ، حتى يمكن للإنسان أن يحيا منتصراً فلا يبطل مفعول الكلمة عندما يهاجمها العدو الشرير .

هذا الإيمان الحي يجب بالضرورة أن يكون مصحوباً برجاء الخلاص الأبدي . فلو كان لنا إيمان ، فإننا نثق بأن الله هو الإله الحقيقي وأنه سيكون أميناً لوعده ، وسيعاملنا كأولاد له . فإذا لم يكن لدينا هذا الرجاء الأكيد ، رجاء الخلاص ، فمعنى ذلك أنه ليس لدينا إيمان .

ومع ذلك فإن الإيمان كاف في حد ذاته ، بمعنى أنه لا يوجد أساس مزدوج من الإيمان والأعمال الصالحة ، فنحن نستند على محبة الله ورحمته وحدها .

3 – التوبة الحقيقية

يوجد عنصران أساسيان في تعاليم الإنجيل ، وهما التوبة ومغفرة الخطايا . وكلاهما أعطيا لنا بواسطة المسيح ، ويحصل عليهما من خلال الإيمان. وسنتأمل أولاً في التوبة .

إن التوبة تتبع الإيمان ، وهي أيضاً ناتجة عن الإيمان . لا يمكن للإنسان أن يتوب ما لم يقبل نعمة الإنجيل ، ولا يمكنه أن يقبل نعمة الإنجيل إلا بالإيمان . فمادام قد قبل الإنجيل ، فإنه بالضرورة سيتخلى عن طرقه الشريرة ، بمعنى أنه سوف يتوب . إن التوبة والإيمان مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقاً ، لكنهما مع ذلك ليسا شيئاً واحداً . فالرسول بولس يكتب بطريقة تفصل بين الكلمتين فيقول : " شاهداً .. بالتوبة إلى الله ، والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح " (أعمال 20 : 21).

إن المعنى العبري لكلمة " توبة " يعني تغيير الاتجاه والاهتداء ، بينما المعنى اليوناني لها يعني تغيير الفكر والهدف . لذلك فإن تعريفنا للتوبة يشتمل على كلا المعنيين ، فنقول : إن التوبة هي الاهتداء الحقيقي لحياتنا إلى الله ، كنتيجة للخوف الصادق من الله . التوبة تشمل أولاً إماتة الجسد ، وثانياً تجديد روح الذهن (أفسس 4 : 22 – 23) . وهناك ثلاث نقاط في هذا التعريف جديرة بالدراسة هي :

(أ) أن الاهتداء إلى الله ينبغي أن يعني ما هو أكثر من التغيير في الأفعال الخارجية ، فالقلب نفسه يجب أن يتغير ، وهذا هو السبب في أن حزقيال عندما كان يحث الناس على التوبة تحدث عنها على أنها مسألة تتعلق بالقلب ، فقال : " اطرحوا عنكم معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة " (حزقيال 18 : 31) . فإن لم يستبعد الشر من القلب لا تكون التوبة حقيقية.

(ب) أن التوبة هي نتاج الخوف الصادق من الله . والخاطئ لن يفكر في التوبة ولا حتى في حاجته إليها حتى يعرف أولاً أنه معرض للدينونة ، وعندما يعرف ان الله سيدينه فإن ضميره يجعله منزعجاً ويدفعه إلى تغيير اتجاهه في الحياة، ومن ثم يتوب . فالتوبة الحقيقية تبدأ بخوف من الخطية وكراهيتها " لأنكم حزنتم للتوبة .. لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة " (2كو 7 : 9،10) .

(ج) قلنا إن التوبة تتضمن أولاً ، إماتة الجسد . هذا يرى بوضوح في آيات كتابية مثل : " حد عن الشر واصنع الخير وأطلب السلامة واسع وراءها " (مزمور 34: 14) ، " اغتسلوا ، تنقوا ، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني ، كفوا عن فعل الشر" (اشعياء 1 : 16،17) . ومن الضروري أن نفعل هذا " لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام " (رومية 8 : 6) .

أما الجزء الثاني من التوبة وهو تجديد روح الذهن ، فيظهر في الثمر الذي ينبت في حياة الشخص المتجدد (انظر ثمر الروح في غلاطية 5 : 22،23 ؛ فيلبي 4 : 8) . هذه الأشياء كلها نحصل عليها أو تأتي إلينا وتتم فينا نتيجة الإتحاد بالمسيح ؛ لأنه إذا اشتركنا حقاً في موته فإننا نصلب طبيعتنا القديمة ، وبالتالي نشترك في قيامته ، وهكذا نحيا وننتعش في حياة جديدة . ومثل هذه التوبة لا تكون مجرد لحظة أو يوم أو سنة ، بل تدوم مدى الحياة . فالولادة الجديدة تعني أن المؤمن لم يعد تحت سلطان الخطية ، رغم أنه يظل يقاتل ويصارع طبيعته الخاطئة . فالمؤمن لا يفقد طبيعته القديمة ، وهذا ما يجعل لديه رغبة في أمور شريرة . ولا يمكن أن يتحرر من هذه الرغبات الشريرة تحرراً كاملاً إلى أن يموت . إن الله عندما يمحو الخطية فإنه

يزيل جرم وعقوبة الخطية ، ولا يزيل وجود الخطية . لكنه يفعل شيئاً مباركاً يسبب لنا انتصاراً عظيماً ، ذلك أن يزودنا بقوة الروح القدس للانتصار على الخطية . فيجب أن نذكر دائماً ضعفنا الخاص وحاجتنا إلى الاتكال على الروح القدس . في (رومية7) يتحدث بولس عن اختباره بعدما أصبح مسيحياً ، ويرينا بوضوح أن الخطية تبقى فينا بعد أن نتجدد (7 : 23) ، وهو يعرف أنه لا يسكن في جسده شيء صالح (7 : 18) وأن في داخله معاناة وشقاء من الصراع المستمر بسبب الخطية التي فيه (رومية7 : 24) .

إن بعض الناس يعلمون بأن أولاد الله يولدون ولادة جديدة بالخلاص ، أي يرجعون إلى حالة من البراءة والطهارة ، ولذا فمهما أخطأوا فإنهم في نظر الله أبرياء وأطهار وأنقياء ، لأن الذي يسكن فيهم هو الروح القدس ، ويستمرون في هذا الادعاء فيقولون إنه لا حاجة لأولاد الله بعد الآن أن يقمعوا شهواتهم . ومهما فعلوا فعملهم لا يعد خطية ، لأن هذا الفعل – مهما كان – يتم بواسطة الروح القدس !! فياله من تعليم منحرف ! فأي روح هذا ؟ ومن أي نوع هو ؟ لكن ينبغي علينا أن نكون واثقين بأن الروح القدس لا يشجع القتل أو الفجور أو الكبرياء أو الطمع أو الغش . فالروح القدس هو مصدر المحبة والفضيلة والتواضع والسلام والصدق . الروح القدس يعطي لنا لكي يقودنا إلى بر الله .

في (كورنثوس الثانية 7 : 11) يتكلم بولس عن علامات تظهر أن الإنسان قد تجدد (في إشارته إلى التوبة لخلاص بلا ندامة) ، وهذه العلامات هي :

(أ) الاجتهاد : الذي به يسهر على حماية نفسه ضد مغريات الخطية .
(ب) الاحتجاج : الذي به يوضح ويشرح موقفه باذلاً الجهد لتقديم برهان عملي على إخلاصه واحترامه لله .
(ج) الغيظ : وبه يغضب على نفسه عندما يرى إثمه الشخصي وعدم عرفانه بصنيع الله .
(د) الخوف : الذي يشعر به عند تفكيره في القصاص الذي يستحقه من هذا الإله البار .
(هـ) الشوق : ولعل المقصود به الرغبة الشديدة في إطاعة الله .
(و) الغيرة : وبها يحاول أيضاً أن يعرف ميله الشخصي للخطية مما يجعله أكثر حماساً إطاعة الله .

(ز) الانتقام : الذي به يعامل نفسه معاملة قاسية ، ويتألم من الخجل الداخلي الذي يشعر به عندما يفكر في دينونة الله العادلة على خطيته والعقاب الذي كان واقعاً عليه . وبالإجمال يمكن القول بأن التوبة في الحياة ، هي الطاعة لله والمحبة للناس في حياة مقدسة ونقية .

تتكون بشارة الإنجيل من أمرين هما : التوبة ومغفرة الخطايا . كانت مناداة يوحنا المعمدان هكذا : " توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات " (متى 3 : 2) . وكان تعليم المسيح كذلك : " توبوا وآمنوا بالإنجيل " (مرقس 1 : 15) .

يعلم الكتاب المقدس بأن التوبة هي عطية من الله ، وليست شيئاً يمكن أن نحدثه في أنفسنا . إذ يرد الحديث في أعمال 11 : 8 عن التوبة على أنها شيء أعطاه الله : " إذا أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة " ونرى نفس المعنى في تيموثاوس الثانية 2 : 25 " عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق " . الله يحذر ويحض جميع الناس على التوبة ، لكن هذا التحذير أو التشجيع لا يكون فعالاً ، إلا حينما يحضر الروح القدس الإنسان إلى حياة جديدة ، بالولادة الجديدة .

وإذا شئنا الدقة نقول : ليست التوبة هي سبب الخلاص ، لكن الخلاص والتوبة بينهما ارتباط وصلة وثيقة كما لو كانا غير منفصلين . والكتاب المقدس يخبرنا عن بعض الذين استنيروا إلى درجة كبيرة ورأوا الكثير من نور حق الله ، بحيث لا يمكنهم التذرع بالجهل ، ويرينا إنهم ، عندما يقسون قلوبهم بمحض اختيارهم ويرفضون بازدراء نعمة الله ، فإنهم في الواقع يحتقرون دم المسيح ويصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه (عبرانيين 6 : 6) ، إن مثل هؤلاء المرتدين لا يمكن أن يتوبوا ، وبالتالي لا يمكن أن يخلصوا . وخطيتهم هذه تسمى الخطية التي لا تغفر ، أو خطية التجديف على روح الله القدوس .

4 – فحص التعليم الكاثوليكي الخاص بعقيدة التوبة

يقول الكاثوليك : إن التوبة هي البكاء على خطايا الماضي ، وعدم العودة إلى فعلها ، وهي عقاب النفس بالحزن على الخطية . إنهم يظنون أن التوبة تدريب شاق يهدف إلى قمع

الجسد ، وأنها نوع من العقاب . ولا يقولون شيئاً عن التجديد الداخلي للشخص ، وإعادة تشكيل حقيقي للحياة .

إن مسألة غفران الخطايا على جانب كبير من الأهمية . ينبغي أن نتأمل فيما يعلمه الكاثوليك ، ونفهم وجه الخطأ فيه . يقولون إن التوبة تتكون من :
(أ) حزن على الخطية يحس به القلب .
(ب) اعتراف بالخطية عن طريق الفم .
(ج) إرضاء أو تعويض عدل الله بالأعمال الصالحة . ويرون أننا لكي نحصل على مغفرة الخطايا يجب أن نتمم هذه الشروط الثلاثة :

(أ) الحزن على الخطية :
يقول التعليم الكاثوليكي إن الحزن ضروري ، ويجب أن يكون حزناً كافياً وكاملاً . لكن ، كيف يمكن للإنسان أن يعرف أن حزنه صار كافياً لسداد الدين الذي عليه لله ؟ نحن نتفق على أن الإنسان يجب أن يكون حزيناً على خطاياه، لكننا لا نقول إن الإنسان يمكنه أن ينال الغفران لمجرد أنه حزن . الحزن على الخطية ، ليس سبب الغفران ، ورجاء الخاطي ليس في دموعه بل في رحمة الله .

(ب) الاعتراف بالفم :
يعلم الكاثوليك أن الخاطي يجب أن يعترف بخطاياه للكاهن ، الذي يكون عندئذ قادراً على إزالتها ، ويستخدمون بعض الفقرات من الكتاب المقدس استخداماً خاطئاً لتدعيم نظريتهم . فيقولون أن المسيح أرسل البرص إلى الكاهن ، والبرص رمز للخطية التي يجب أن يؤتى بها إلى الكاهن . لكنهم ينسون أن المسيح أرسلهم إطاعة للشريعة التي تقرر أنه إذا شفي أبرص عليه أن يعرض نفسه على الكاهن للحصول على شهادة بالشفاء . وهناك استخدام خاطيء لما ورد في رسالة (يعقوب 5 : 16) " اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض " ، لكن هذا لا يعني تخصيص إنسان بعينه لكي يعترفوا إليه . إن هذه الآية الكتابية تتكلم بوضوح عن الاعتراف المتبادل والصلاة المتبادلة . ولا وجود فيها للعلاقة بين التائب والكاهن . والواقع أنه لا أساس للحجة التي تقول إن الاعتراف أمر تنص عليه شريعة الله ، فالاعتراف

للكاهن لا وجود له في الكتاب المقدس ، بل إنه لم ينص عليه في قانون الكنيسة الكاثوليكية إلا منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

يعلم الكتاب المقدس أنه ليس أحد يزيل الخطايا إلا السيد الرب وحده . فهو القادر أن ينسى الخطايا وأن يمحوها . وحيث أننا أخطأنا إليه فعلينا أن نذهب إليه لنحصل على السلام . الرب يدعو الخطاة إلى عرش رحمته ، فعلينا أن نتجه إليه طلباً للرحمة . يوجه داود اعترافه إلى الرب قائلاً : " أعترف لك بخطيتي ولا أكتم اثمي ، قلت أعترف للرب بذنبي ، وأنت رفعت آثام خطيتي " (مزمور 32 : 5) . لأنه " إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم " (1يو1 : 9) .

(ج) إرضاء (أو تعويض) عدل الله بالأعمال :

يقولون في هذا التعليم إن الإنسان التائب يمكنه أن يحصل على رحمة الله بواسطة الدموع والصوم ، والعطايا المالية وتقديم الصدقات للآخرين . ويظنون أنه بذلك يكون التائب قد أوفى الدين الذي عليه لعدالة الله ، وقدم تعويضاً عن خطاياه ، فكسب الغفران لنفسه . وفي رأي المعلمين بذلك ، أن الله رغم أنه يغفر الذنب إلا أنه لابد أن يعاقب الإنسان على سبيل التأديب ، والإنسان يمكنه تفادي هذا التأديب باسترضاء عدل الله وتعويضه بالأعمال . لكن : لو صح هذا لكان خلاصنا غير مستند على رحمة الله وحدها بل على الأعمال الصالحة أيضاً . والحق الكتابي عكس ذلك تماماً ، فالكتاب يعلم بأن الغفران مجاني : " لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس " (تيطس 3 : 5) . إن كلمة " يغفر " تعني يلغي أو يمحو ، وتشير إلى أن هذا الغفران هبة خالصة . فإذا قلنا إن دائناً ألغى دينا على مدين له ، فمعنى هذا أنه قد شطبه ومحاه ، ولم يعد يتبقى شيء يدفع أو يسدد . وهذا بعينه ما يقوله الرب : " أنا هو الماحي ذنوبك من أجل نفسي ، وخطاياك لا أعود أذكرها " (اشعياء 43 : 25) .

ويرى الكاثوليك أيضاً : أن الخطايا تزول وتمحى بالمعمودية أما التي تحدث بعد العماد فيجب أن يكفر عنها بأعمال حسنة على سبيل التعويض استرضاءً لله . لكن الرسول يوحنا يقول بطريقة محددة قاطعة : " يا أولادي أكتب إليكم لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا

شفيع عند الآب يسوع المسيح البار " (1يو 2 : 1) . فالمسيح هو شفيعنا الدائم المستمر الذي تعيدنا وساطته وشفاعته الدائمة إلى رضا وإحسان الآب . قال المعمدان : " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم " (يوحنا 1 : 29) فيسوع وحده هو حمل الله بمعنى أنه الذبيحة الوحيدة أو القربان الوحيد عن الخطية .

كذلك لديهم تعليم آخر عن الخطايا ، ينبغي أن نفنده وندحضه . إنهم يتوهمون أن بعض الخطايا غير مميتة (أي تجلب الموت والهلاك) ، والذين يعلمون بهذا يقولون إنه يمكن التعويض أو العمل على رفع الخطايا غير المميتة بترديد الصلاة الربانية والرش بالماء المقدس وغير ذلك من الطقوس . لكن هذا مناقض لتعليم الكتاب المقدس الذي يدين الخطية دون تمييز بين أنواعها فيقول : " أجرة الخطية هي موت " (رومية 6 : 23) ، والمؤمن حين يخطيء فهذا لا يؤدي إلى موته الروحي ، وإن كان يستحقه ، لأن الله رحوم أمين وعادل ولا يهلك الذين هم في المسيح يسوع .

وتوجد حجة تستخدم لتدعيم التعليم المتعلق بالاسترضاء أو التعويض من أجل الخطايا ، هذه الحجة مؤسسة على ما حدث مع داود عندما غفر الله خطيته ضد أوريا وبتشبع ، لكنه عاقبه بموت ابنه . لكن علينا أن نعرف أن الله يعاقب بنوعين من العقاب هما : التأديب ، والانتقام العادل . وكان موت ابن داود من قبيل التقويم أو الإصلاح التأديبي على يد الرب ، وليس من قبيل صب جام اللعنة الإلهية عليه .

5 – بعض التعاليم الكاثوليكية الأخرى

إن التعليم الخاص بالمسامحة الكنيسة أو الحل الكنسي ، هو أحد التعاليم التي نرفضها تماماً . يقول هذا التعليم : إنه يوجد استحقاقات للمسيح والرسل والشهداء ، مخزونة بمثابة كنز للكنيسة ، ويمكن للبابا والأساقفة أن يوزعوا ويمنحوا من هذه الاستحقاقات لأناس آخرين . ولو أن هذه عقيدة صحيحة لأصبحت هناك إمكانية لمغفرة الخطايا باستحقاق الرسل والشهداء ، بينما الكتاب يقول : " دم يسوع المسيح ابنه يطهر من كل خطية " (1يوحنا 1 : 7) . ويقول الكتاب أيضاً : " أنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين " (عبرانيين 10 : 14) . إن مغفرة الخطايا لا يمكن مطلقاً أن تستند على دم الشهداء .

أما المطهر : فهو التعليم الذي يقول إنه بعد موت الشخص يجب أن يعمل مزيداً من التعويض عن خطاياه قبل أن يكون مقبولاً لدى الله . وقد سبق فأوضحنا أن دم المسيح هو الوسيلة الوحيدة لمغفرة الخطايا ، وأنه ليس هناك حاجة إلى مزيد من الأعمال لإرضاء عدل الله حتى ينال الخاطيء خلاص المسيح. وعلى ذلك فلا وجود ولا مجال للمطهر وبالتالي لا ضرورة ولا حاجة للصلاة على الموتى ، لأن موقفهم قد تحدد من قبل الله بالقبول أو الرفض . وليس هناك تعليم في الكتاب المقدس بوجوب الصلاة على الموتى أو من أجلهم .

6 – الحياة المسيحية

هذا موضوع كبير . وأرى أن أكتفي في هذا البحث بالإشارة إلى الطريقة التي يجب على الإنسان المؤمن أن يحيا بها . من بين أهداف الكتاب المقدس أن يعلمنا أن نحب البر ، ويعرفنا القواعد التي ترشدنا في حياتنا لكي نتجنب الخطأ ونحفظ من الزلل .

يعلمنا الكتاب قائلاً : " تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم " (لاويين 19 : 2 ؛ 1بط 1 : 16) . جدير بالقداسة أن تكون الرباط الذي يربطنا في شركة مع الله . ولا يعني ذلك أننا نستحق الشركة مع الله بواسطة قداستنا ، لكن ينبغي أن نكون قديسين لأن الله قدوس ، وحاشا له أن يوجد في شركة مع النجاسة والدنس .

يقدم الكتاب المقدس لنا المسيح على أنه مثلنا الأعلى ليشجعنا على المضي في طريق القداسة . الواقع أننا نعد مذنبين في أعمق درجات الجحود والنكران إذا رغبنا في أن ندعو الله " أبانا " بغير أن نكون راغبين في أن نسلك بطريقة تليق بأبناء لله .

وهناك أسباب قوية جداً تجعل من واجبنا أن نحيا حياة مقدسة للرب . إن المسيح بذل دمه عنا لكي نغتسل ونتطهر ، فكم نكون مخطئين ومذنبين عندما نلوث أنفسنا بمزيد من الوسخ والدنس . إن الروح القدس جعلنا هيكلاً لله ، فيجب أن نحفظ هيكله طاهراً نقياً . إن نفوسنا وأجسادنا مهيأة للخلود ، لذلك علينا أن نحرص على حفظها بلا لوم إلى ذلك اليوم .

إن من يدعو نفسه مسيحياً مؤمناً ، ولا يبذل أي جهد للسلوك في حياة مكرسة مقدسة ، ليس على حق في هذا الادعاء . يقول الرسول بولس عن مثل هؤلاء أنه يجب عليهم أن " يخلعوا .. الإنسان العتيق الفاسد حسب شهوات الغرور ويتجددوا بروح ذهنهم ويلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق " (افسس 4 : 22 – 24) . نحن لا نقول إن المؤمن " كامل " أو يشترط أن يتوافر فيه الكمال المطلق ، لأنه لو كان الأمر كذلك لما أستطاع أحد أن ينضم إلى الكنيسة ، إنه من غير الممكن لأي إنسان أن يصل إلى هذا المقياس . لكن يجب أن يكون هذا المقياس من القداسة هدفنا الذي نسعى إليه في الحياة .

7 – المسيحي وإنكار الذات

إن الله يريد منا أن " نقدم أجسادنا كذبيحة حية مقدسة مرضية عنده " ، وأن هذه هي " عبادتنا العقلية " (رومية 12 : 1) فنحن لم نعد ملك أنفسنا ، ولم يعد يليق بنا أن نسمح لإرادتنا وعقولنا أن توجه أفعالنا . ينبغي أن نترك جانباً تفكيرنا الخاص ونقبل قيادة الله لنا ، لأننا إذا حاولنا أن نسلك بحسب نور عقولنا فقط ، فإننا سنتعرض للدمار . أما إذا خضعت عقولنا للروح القدس ، فلن نعود نحيا لأنفسنا بل المسيح يحيا فينا (غلاطية 2 : 20) . إن خضوع عقولنا على هذا النحو يمكننا من أن نحقق ما يطلبه من تلاميذه من إنكار للذات . إن تسليم زمام قيادتنا لروح الله هو العامل الأساسي المرشد والموجه للحياة ، وهو الذي يمكننا من قهر وطرد كل طمع وكل انغماس في الشهوات أو استسلام للملذات .

ويلخص الرسول بولس هذا التعليم في رسالته إلى تيطس قائلاً : " لأنه قد أظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس ، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر ، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تيطس 2 : 11 – 13) وفي الآية التالية يرينا الهدف من الخلاص والفداء فيقول " ليطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة " (تيطس 2 : 14) . في هذه الآيات يلجأ الرسول إلى تشجيع محبتنا لله إذ يخبرنا عن نعمة الله . ثم يزيل من أمامنا عقبتين من العقبات التي تعوقنا عن محبة الله وخدمته ، وهما الفجور والشهوات العالمية . ثم يصف الحياة المسيحية بثلاث صفات هي : التعقل والبر والتقوى . ويشتمل التعقل على الطهارة والتعفف وضبط النفس والأمانة واستخدام كل ما منحه الله لنا بحرص وعناية . ويقصد بالبر ،

الصفاء والعدالة والاستقامة في كل معاملاتنا مع الآخرين . أما التقوى فهي الصفة التي تميزنا عن أهل العالم وتشدنا إلى الله في رباط القداسة .

إن الذين يتطلعون إلى بركة الرب ، أكثر من تطلعهم إلى ما يقدمه العالم من نجاح أو رخاء ، هؤلاء لا يتكلون على مهارتهم الذاتية ، ولن يكونوا في نهم وجشع نحو الثروة والجاه ، بل يطلبون من الله أن يعطيهم في حياتهم ما تسمح به إرادته . هذا هو إنكار الذات الحقيقي .

8 – حمل الصليب

في (متى 16 : 24) يطلب منا الرب أن نحمل الصليب . ويقصد بهذا أن هناك حملاً ، يتعين علينا أن نحمله ، يتمثل في شدة أو ضيق أو مهنة شاقة أو محنة أو بلوى . إن ابن الله كان عليه أن يحمل مثل هذه المصاعب والضيقات . ويجب على المؤمنين أيضاً أن يتعلموا ويتدربوا وينموا بواسطة مثل هذه الضيقات؛ " عالمين أن الضيق ينشيء صبراً والصبر تزكية ، والتزكية رجاء " (رومية 5 : 3،4) . والرب قد وعد أن يكون معنا في الضيق ، وأولئك الذين يعانون من ضيقة خاصة يبرهنون على حضور الله ورفقته لهم . وهكذا فإن الصليب الذي علينا أن نحمله ، يعلمنا ألا نتكل على أنفسنا بل على الله .

إن الاحتياج إلى أن نتعلم الثقة بالله هو الدرس الأساسي الذي ينشا عن الألم ، لكن هناك دروس أخرى . يرسل الرب أحيانا مشقات أو صعوبات ليمتحن علانية الألطاف والإحسانات والنعم التي أعطاها . ولهذا السبب طلب من إبراهيم أن يقدم ابنه إسحق ، ابن الموعد ، ذبيحة . إن هذه الامتحانات الصعبة للإيمان ، تشبه الامتحان كما بنار " لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد " (1بطرس 1 : 7) . فإذا كانت لنا وفرة من الأشياء الطيبة وفيض من الخيرات في هذه الحياة ، فإن هذا قد يدفعنا إلى التعالي والكبرياء ، فنشعر أننا لسنا بحاجة إلى الله . لذلك فإن الله في حنانه يؤدبنا من حين لآخر ليصحح مسارنا حتى تأخذ حياتنا في التقدم والنمو . وفي الرسالة إلى العبرانيين يقول لنا الرب : " يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك . لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله " (عبرانيين 12 : 5،6) . إلى جانب هذا ، فإن الضيق الذي علينا أن نحمله قد يكون اضطهاداً من أجل البر . وياله من شرف عظيم أن نتألم من أجل البر ومن أجل المسيح ، " طوبى للمطرودين من اجل البر " (متى 5 : 10) .

9 – التطلع إلى الحياة الآتية

إن ميولنا الطبيعة تتجه نحو محبة العالم الذي نعرفه . لكن الله لا يريد منا أن نتشبث بهذا العالم ، وهو يرينا دائماً كيف أن هذا العالم باطل ، وذلك عن طريق الضيقات والآلام . وهذا التأديب يكون نافعاً لنا عندما نعرف أنه لا مجال لسعادة حقيقية في هذه الحياة ، وأن خيرات هذا العالم زائلة . ينبغي أن ننتظر حتى ندخل إلى السماء فنجد الأشياء الباقية التي لا تفنى .

وعلى الرغم من أنه يجب علينا ألا نعطي الحياة الحاضرة قيمة كبيرة أو اهتماماً ، إلا إنه من الواجب علينا في نفس الوقت ألا نكرهها . إن الحياة بركة معطاة لنا من قبل الله .

من حق المؤمنين أن يتطلعوا بفرح إلى الحياة السماوية الآتية . إن الحرية الحقيقية سنشعر بها عندما نترك هذا العالم ، أما في أثناء وجودنا على الأرض فنحن " متغربون عن الرب " (2كو 5 : 6) . لكن هناك ، يالها من سعادة بالغة وهناء غامر أن نتمتع بحضور الرب إلى الأبد . لاشك أنه أمر طبيعي أن يرتجف الإنسان من الموت . أما بالنسبة للمؤمن فهناك نور يعطيه قدرة يتغلب بها على هذا الخوف ؛ بهذا يتمكن المؤمن أن يوجه تفكيره إلى الحياة والأمجاد التي بعد الموت .

10 – الاستخدام الصحيح للحياة الحاضرة

ليست الأرض داراً لنا ، ولا هي مقرنا الأخير . من حقنا أن نستخدم الأشياء الطيبة هنا لتكون عوناً لنا في سياحتنا . إن بعض الناس الأفاضل عرفوا أن هذه الخيرات الأرضية يمكن أن تستخدم استخدماً سيئاً ، فحرموا أنفسهم من التمتع بها . لكن هذا أمر ينطوي على تقشف وحرمان أكثر صرامة مما يجب . وفي نفس الوقت ينبغي علينا أن نتجنب الإسراف والإفراط في التمتع بهذه الخيرات .

والكتاب يعطينا قواعد عامة لإرشادنا في هذه الأمور . إن خيرات الله وعطاياه يجب أن تستخدم استخداماً صحيحاً ولأهداف سليمة ، سامية . إن الله لا يمنعنا من أن نستخدم

احساناته لفائدتنا ، وهو " يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع " (1تيمو 6 : 17) ولا يدعونا إلى أن نقتر على أنسفنا أو على الآخرين ، بينما هو يعطي بغنى . فإذا رأى الله أن من فائدتنا أن نحرم من بعض هذه الخيرات ، فهذا لا يدعونا إلى التذمر .

11 – التبرير بالإيمان

عندما أعطانا الله ، في محبته ، ابنه يسوع المسيح ، فإن هذا الصنيع المبارك اشتمل بركتين رئيسيتين هما : التقديس والتبرير . وقد تأملنا من قبل كيف أن الروح القدس يقدسنا ويقودنا إلى طهارة الحياة . والآن نتأمل بشيء من التوسع في حقيقة التبرير . إننا قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، ومن أجل البر الذي ضمنه المسيح لنا بموته لم يعد الله قاضياً أو ديانا لنا ، بل أباً عطوفاً .

إن التبرير أمام الله ، يعني أن الله ينظر إلى الإنسان (الذي سترت خطيته بدم المسيح) على أنه بار ولذلك يقبله . وهذا عكس المعاملة التي يعامل بها الخاطيء مادام ينظر إليه كخاطيء . لن الخطية بغيضة جداً لدى الله حتى أنها تستوجب غضبه ودينونته العادلة . المذنب الواقف أمام محكمة بشرية لا يمكن أن يعتبر بريئاً إلا إذا ثبتت براءته . أما المذنب أمام محكمة الله فيعتبر باراً عندما تستر خطيته . والمؤمن إنسان سترت خطيته بدم المسيح .

قد يكون في الإمكان أن نقول إن الإنسان يتبرر بالأعمال ، لو أن الإنسان كان طاهراً ومقدساً إلى الدرجة التي يستحق معها أن يدعوه الله باراً . لكننا نعلم من الإختبار ومن الكتاب المقدس أن مثل هذا الإنسان لم يوجد مطلقاً ولن يوجد (راجع الكتاب الثاني – البند الأول) . لكن الإنسان يمكنه أن يتبرر بالإيمان ، إذا هو بالإيمان تمسك ببر المسيح المعطى بالفداء ، كغطاء له عندما يقف أمام الله . إن التبرير يشتمل على غفران الخطايا وعلى حسبان بر المسيح لنا.

وهذا التعليم ليس تعليماً بشرياً أو عقيدة بشرية . لكنه مستمد مباشرة من الكتاب المقدس : " متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح ، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهاره بره من اجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله . " لإظهار بره في الزمان

الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع " (رومية 3 : 24 – 26) " لأنه جعل الذي لم يعرف خطية ، خطية من أجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه " (2كورنثوس 5 : 21) . إن الكتاب المقدس لا يعلم بأن التبرير يكون جزئياً بالإيمان وجزئياً بالأعمال ، فالإيمان والأعمال أمران متضادان يتعارض أحدهما مع الآخر . فإذا كان لنا إيمان في رحمة الله ، سندرك أن أعمالنا بلا جدوى في حصولنا على الخلاص . يقول كاتب من العصور السابقة: " إن الله لأنه يخطيء ، أما الإنسان فيصبح باراً عندما يقبل غفران الله وعفوه ".

12 – عرش القضاء الإلهي

إننا ندرك بوضوح حاجتنا إلى تبرير مجاني ، عندما نتأمل بإمعان في أن دينونتنا ليست أمام محكمة بشرية ولا بمقتضى قانون أرضي ، بل أمام عرش القضاء الإلهي . إن مقاييس البشر لا يمكنها بأي حال أن تطاول ارتفاع وسمو مقاييس الكمال الإلهي . إن الله قاض قدوس بدرجة تفوق إدراكنا حتى أن " السموات غير طاهرة بعينيه " ، و " وإلى ملائكته ينسب حماقة " (أيوب 15 : 15، 4 : 18) ، وهو " لن يبرئ إبراء " (خروج 34 : 7) ، وإن كان السيد الرب يراقب الآثام ، فمن يقف ؟ (مزمور 130 : 3) . إن بر الله وصلاحه يعلو كثيراً عن مستوى أفهامنا . وإن كنا لا نخلص إلا بإطاعة كل أوامر الناموس ، وجب علينا أن نرتعد الآن من الخوف ، لأنه " ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به " (غلاطية 3 : 10) .

من يظن انه قادر على تحقيق خلاصه ؟ يمكن أن تظن أنك طيب مثل الآخر، ولست أقل منهم إن لم تزد عنهم . لكن ليس هذا هو المطلوب فمقاييس الله هي القداسة الخالصة . قال المسيح للذين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم أبرار " انتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ، ولكن الله يعرف قلوبكم . إن المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله " (لوقا 16 : 15) . وكان صاحب المزمور يملك فهماً حقيقياً عندما قال : " لا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حي " (مزمور 143 : 2) . عندما نتأمل في آثامنا ومعاصينا الخاصة سنصاب باشمئزاز من أنفسنا ، حتى أننا لن نعود نظن في أن لنا أية فرصة في كسب الاستحقاق بأعمالنا الحسنة بل نلقي بأنفسنا على رحمة الله . " لأن الله يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعين فيعطيهم نعمة " (1بط 5 : 5 ، يعقوب 4 : 6) .

13 – ينبغي إعطاء المجد كله لله

إذا أمكن للإنسان أن يدعى أنه يكسب خلاصه بنفسه ، فإنه بذلك يدعى لنفسه شيئاً من المجد الذي هو من حق الله وحده . يقول ارميا على لسان الرب : " لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخرن البار بجبروته ، ولا يفتخرن الغني بغناه ، بل بهذا يفتخرن المفتخر : بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب " (ارميا 9 : 23 ، 24) . فإذا افتخر الإنسان بنفسه فإنه يسرق أو يسلب شيئاً من المجد المستحق لله .

لكن الإنسان لا يمكنه أن يختبر السلام الحقيقي للعقل والقلب في محضر الله ، إلا إذا قبل بر الله كهبة مجانية ، لأن " من يقول إني زكيت قلبي تطهرت من خطيتي ؟ " (أمثال 20 : 9) . إن ضميره سيقول لنفسه إنه لا يستحق السلام مع الله . والمناص الوحيد هو أن يتحد بالمسيح بالإيمان ، وهكذا يتبرر مجاناً .

14 – التبرير الحقيقي

يمكن تقسيم البشر إلى أربعة أنواع هم :

(أ) أناس يعبدون آلهة مزيفة ولا يعرفون الإله الحي الحقيقي .
(ب) أناس يدعون أنهم مؤمنون لكنهم يحيون حياة غير طاهرة .
(ج) أناس مراؤون ، يتظاهرون بالمسيحية لتغطية شرورهم .
(د) أولئك الذين ولدوا ثانية بروح الله القدوس ، ويتطلعون إلى القداسة .

في النوع الأول ، يمكننا أن نجد شريحتين : أناس أشرار تماماً ، وآخرون يحاولون أن يحيوا حياة صالحة لكنهم لا يعرفون الله الواحد الحقيقي . لاشك أنه أمر جيد أن يحيا الإنسان حياة صالحة . إن الله يعطي لمثل هؤلاء بركات في بعض الأحيان ، هنا على الأرض . وذلك ليس على سبيل المكافأة ، بل ليظهر موافقته على الحياة الطيبة ، لكن هؤلاء ما لم يعترفوا بالمسيح ، بأنه الله الظاهر في الجسد ، وأنه الابن الذي بذل نفسه لخلاص العالم فإنهم لن ينالوا

تبريراً: " من له الابن فله الحياة ، ومن ليس له الابن فليست له الحياة " (1يو5 : 12) لأنه " بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه " (عبرانيين 11 : 6) .

والنوعان الثاني والثالث يمكن التأمل فيهما معاً . فالإنسان الذي يحيا حياة شريرة لم يولد بعد ولادة ثانية من الروح القدس . وأي شخص لم يولد ولادة جديدة لا يمكن أن يكون له إيمان ، وبالتالي لا يمكنه الحصول على المصالحة ، ولا ينال التبرير . وذلك بصرف النظر عن أن الكثيرين من هؤلاء الناس يظنون أنهم قادرون على أن يفعلوا أموراً يقبلها الله ، ولا يعترفون بأنهم لا يملكون أي بر.

وفي المجموعة الرابعة نرى أولئك الذين لا يدعون في أنفسهم أنهم أبرار، لكن البر قد حسب لهم بالمصالحة مع الله والحصول على غفرانه لخطاياهم. إن روح الله القدوس يسكن فيهم وينقي حياتهم ويقدسهم ويقودهم إلى الطاعة . بل إن الطاعة تصبح رغبة أساسية لهم إلى جانب إعلاء مجد الله . لكن، حتى هؤلاء الناس يوجد فيهم عدم الكمال ؛ " لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطيء " (جامعة 7 : 20) . وأتباع الرب يعرفون أنه لا يجوز لهم أن يتكلوا على الأعمال الصالحة التي يحاولون القيام بها ، كما لا يجوز لهم أن يثقوا في أي صلاح ذاتي . لكنهم ينظرون إلى أعمالهم الصالحة على أنها مجرد هبات مستمدة من صلاح الله ، وعلامات على صدق دعوة الله العليا لهم .

15 – مجد الله وثقتنا في الخلاص

كذلك فإن الأعمال الحسنة التي من صنع الإنسان تعد نجسة ولا يمكن احتسابها بمثابة استحقاق أمام الله . والحق أننا عندما نعمل أعمالاً حسنة ، فإنها لا تكون بقوتنا الذاتية ، لكنها تتم من خلال نعمة الله . إن أي شيء فينا يستحق المدح ينسب إلى نعمة الله ، لذلك فالمجد من حقه وحده . ومع ذلك لا يجوز لنا أن نظن أن الله لا يسر بأعمالنا الحسنة ، ذلك أنها تمجده ، وهو يكافئنا عنها بسخاء .

إن التعليم الزائف الذي يقول بأن الناس يمكنهم أن يجدوا الخلاص عن طريق أعمالهم الصالحة ، تعليم قديم ، يرجع إلى أجيال كثيرة . ومع ذلك يحق لنا أن نرفضه تماماً ، لأن الكتاب يقول بوضوح قاطع : " كل من ليس من الإيمان فهو خطية " (رومية 14 : 23) . وأنه

لمن العار القول بأن المسيح عندما أكمل عمله على الصليب لم يفعل أكثر من إتاحة الفرصة لنا لنكسب خلاصنا بأنفسنا . بينما يسجل الكتاب أن الذين يؤمنون به ، هم وحدهم الذين ينالون تبريراً : " من له الابن فله الحياة " (1يو5 : 12) ، " إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني ، فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة ، بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة " (1يو 5 : 24) .

لو كان الخلاص بالأعمال ، لصرنا دائماً مضطربين وقلقين لئلا يكون ما فعلناه ليس كافياً . لكن المؤمنين – قبل وصولهم إلى السماء – يكون لهم نصيب في حياة المسيح ، ويختبرون الجلوس معه على جبال الشركة المقدسة المفرحة . لقد نقلوا الآن من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته ، ويتمتعون الآن بالخلاص. " الآن نحن أولاد الله " (1يو 3 : 2) .

16 – جدل ومناقشات حول التبرير بالإيمان

يقول البعض بأن تعليمنا عن التبرير بالإيمان يلغي الأعمال الصالحة، ويشجع الناس على الاستمرار في الخطية .

فيما يتعلق بالشق الأول من هذا الادعاء ، نؤكد أن تعليمنا – على عكس ما يقولون – يشجع على الأعمال الصالحة . نحن لا نبشر بإيمان فارغ المحتوى ، خال من الأعمال الحسنة. فالأعمال الحسنة ترتبط بالإيمان . نحن نحصل على بر المسيح بالإيمان ، لكن لا يمكننا أن نصنع البر دون أن نحصل في نفس الوقت على قداسة المسيح . فالمسيح هو الذي " صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء" (1كو 1 : 30) . نحن إذن لا نعد مبررين بدون أعمال صالحة ، لكننا لا نتبرر بالأعمال الصالحة . وهناك دوافع قوية تشجعنا على صنع الأفعال الحسنة ، إذ أننا نكون في الدرجة القصوى من الجحود وعدم العرفان إن لم نحب الرب الذي أحبنا أولاً ، وإذا لم نرغب في طاعته وخدمته .

وقيما يتعلق بالشق الثاني : هل حقاً ما يقولون بأن تعليمنا يشجع الناس على الاستمرار في الخطية ؟ إننا نعلم بأن غفران الخطايا كان أمراً مكلفاً جداً لدرجة أن الناس يعجزون عن شرائه . إن بر الله مجاني هذا حق ، لكنه لم يكن أبداً رخيصاً . إن الغفران قد كلف المسيح دمه

الثمين وحياته . والذين تبرروا بدم المسيح يعرفون أنهم عندما يفعلون الخطية يكونون مذنبين ، كم يقوم باهراق ذلك الدم الثمين مرة أخرى . وحقيقة مرعبة كهذه تؤدي إلى الخوف والرعدة من الخطية بدرجة أعظم مما لو ظن الناس أن الخطية يمكن أن يكفر عنها بمزيد من الأعمال الصالحة .

17 – حول مكانة الناموس (الشريعة)

يقولون : أين موقع الشريعة ؟ ويتهموننا بأننا نتصرف وكأن ناموس العهد القديم قد أعطى عبثاً ، وفيه من المواعيد مثل : " ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها ، يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك " (تثنية 7 : 12) . لكننا في حاجة إلى أن نتذكر أن اللعنة قد وقعت على جميع الذين لم يحفظوا الناموس بكامله . وبناءً عليه ، وبمقتضى هذا المقياس، قد أدين الجميع وصاروا مجرمين " لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل " (يعقوب 2 : 10) . والملاذ الوحيد هو التحرر من الناموس ، وهذا التحرر يأتي بالإيمان ببر الله ورحمته في المسيح .

ويدعى البعض أن الرسول يعقوب قد علم بأن إبراهيم تبرر بالأعمال . إن بولس قد قال إن إبراهيم تبرر بالإيمان ! لكن يعقوب عندما كتب رسالته كان في الكنيسة أناس يفتخرون بأن لهم إيماناً عظيماً ، ومع ذلك فقد أظهروا ، بإهمالهم الأعمال الحسنة ، بأنه ليس لهم إيمان حقيقي . فيعقوب إذن يشير إلى عدم جدوى ثقتهم . وهو يستخدم كلمة إيمان ، لا ليعني الإيمان الحقيقي ، بل ليعني وجهة نظرهم عن الإيمان . إن الرسول يعقوب بالتأكيد لا يقصد أنه " إذا كان للإنسان إيمان بدون أعمال " بل يقصد " إذا تظاهر أو ادعى إنسان بأن له إيماناً ومع ذلك يهمل الأعمال " . وهو يشير بعد ذلك إلى أن إيمان هؤلاء كان ناقصاً فيقول : " أنت تؤمن أن الله واحد ، حسناً تفعل ، والشياطين يؤمنون ويقشعرون " بمعنى أنه إذا لم يكن في إيمانك أكثر من هذا فلن تفرق عن الشياطين ، فلا عجب إن كان مثل هذا الإيمان الناقص لا يبرر . إن التعليم الحقيقي ليعقوب هو : أن الذين يتبررون حقاً بالإيمان ، يبرهنون على برهم بالطاعة والأعمال الصالحة ، وهذا ما يؤيده الرسول بولس .

18 – المكافآت

توجد فقرات كتابية تؤكد أن الله يعطي كل إنسان بحسب أعماله . لكن هذه الفقرات لا تتعارض مع حقيقة التبرير بالإيمان . إن الله يخلص الإنسان بمقتضى رحمته فقط ، لكن يأتي بعد ذلك التقديس الذي يتضمن بالطبع الأعمال الصالحة . لذلك يقول الرب للمؤمنين : " اعملوا .. للطعام الباقي للحياة الأبدية " (يوحنا 6 : 27) ، في نفس الوقت يقدم الله وعوداً بإعطائهم كل هذا . فالعمل هنا ليس بديلاً عن النعمة بل نتيجة أو ثمر لعمل النعمة في المؤمن . وعلى ذلك فإن استخدام كلمة " مكافأة " في الكتاب المقدس لا يعني أن الخلاص مكافأة عن الأعمال الصالحة . بل يعني أن في السماء مكافآت للمؤمنين ، ترجع ببساطة إلى الله الذي يسكب على شعبه بركات فائضة . إن الله لا يعطي مكافآت لأنه مدين بها للذين يحاولون أنه يعملوا أعمالاً صالحة ، بل إنه يعطي لنا مكافآت لأنه قد وعد بها . والمهم هنا هو ترتيب هذه المسائل التي أشرنا إليها .

19 – الحرية المسيحية

هنالك ثلاثة أمور تتشكل منها الحرية المسيحية :

(أ) أن المؤمنين يكونون متأكدين من أمر خلاصهم عندما يكفون عن أية محاولة للوصول إلى البر القائم على الأعمال وعلى طاعة الناموس . فلا يمكن لأي إنسان أن يكون باراً طبقاً لمقياس الناموس الأدبي . ولذلك فالإنسان إما أن يكون مداناً من الناموس أو يتحرر من سلطانه . لكن الكتاب يعلمنا أن نتحول عن الناموس ونلجأ إلى يسوع المسيح وحده كواسطة للبر . والمسألة ليست كيف يمكن أن نكون أبراراً ، بل كيف يمكن أن نحسب أبراراً . ومع ذلك يظل للناموس دور يلعبه في حياتنا ، لأنه يذكرنا بواجبنا ، ويقودنا في طريق التقديس .

(ب) توجد في حياتنا بعض الأمور لا يأمر بها الكتاب المقدس ولا ينهي عنها . وفي هذه الحالة لا يحتاج المؤمنون أن يقعوا فريسة للشكوك وليسوا في حاجة إلى التقيد بشرائع من صنع البشر . إن ضمائر المؤمنين ارتاحت في المسيح ولها أن تطرح الشكوك الوهمية . ومن هنا ففي امكانهم أن تكون لهم الحرية فيما يتعلق بالمأكل والملبس والأيام المقدسة وما إلى ذلك من

الأمور طبقاً لما تمليه عليهم ضمائرهم التي نالت الراحة في المسيح . قال بولس : " إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته ، إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس " (رومية 14 : 14) . هذه الكلمات تعطينا حرية استخدام جميع الأشياء إلى المدى الذي تسمح به ضمائرنا .

(ج) ينبغي أن نمتنع عن كل ما من شأنه أن يسبب الإساءة أو الأذى للآخرين ، لكن بضمير صاف نقي . يقول الرسول بولس : " إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن، فلا تأكلوا من أجل ذلك الذي أعلمكم والضمير .. ليس ضميرك بل ضمير الآخر " (1كو 10 : 28 ، 29) . إن في امكاننا أن نستخدم كل عطايا الله بدون حيرة أو شك أو وخزات ضمير ، شريطة أن يكون استخدامها طبقاً لما أعدها الله له .

20 – الصلاة

نحن نملك من خلال الصلاة طريقاً يؤدي بنا إلى الكنوز المخزونة والمحفوظة لنا عند الآب السماوي ، الذي طلب منا أن نصلي من أجل كل ما نرجوه . إن الصلاة أمر أساسي ونافع في آن واحد .

ويتذرع البعض بأن الله يعرف كل احتياجاتنا ، وبالتالي ليس علينا أن نصلي من أجلها . والرد هو : ان الله بكل تأكيد يرعانا ويهتم بنا ويعطينا في بعض الأوقات أشياء قبل أن نسأل . لكن عندما نسعى إليه باجتهاد ونطلبه بإلحاح، عندئذ فقط نتعلم أن ننتظره كالمعين الوحيد لنا في وقت الضيق .

وهناك قواعد أربع ضرورية لكي تكون صلواتنا صحيحة ، وهي :
(أ) أن تكون أفكارنا متواضعة وقلوبنا منكسرة عندما نصلي إلى الإله الواحد الحقيقي .

(ب) الإحساس الصادق بأننا نحتاج إلى الأشياء التي نتوسل من أجلها .

(ج) ألا يكون فينا غرور ما أو ثقة ذاتية أو اتكال على الذات ، لأن كل المجد والكرامة من اختصاص الله وحده .

(د) أنه رغم اتضاعنا وانكسارنا وتذللنا في الصلاة ، علينا أن نتشجع فإن الله يصغي ويستجيب . وقد أوصانا المسيح قائلاً : " كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم " . (مرقس 11 : 24) .

لا يوجد إنسان مستحق أن يمثل في محضر الله . لكن الله أعطانا ابنه الحبيب لكي يكون وسيطنا ، لنتمكن من الاقتراب إليه بكل اليقين . ولنا ثقة أن كل ما نطلبه في اسم الابن الحبيب يعطي لنا . لأن الله لا يرفض وساطة ابنه .

والبعض يصلون إلى القديسين الذين ماتوا . ولو أن القديسين الراحلين لا يزالون يصلون ، فإنه يمكنهم رفع صلواتهم الخاصة بهم فقط عن طريق المسيح الوسيط الوحيد . لذلك فإن العقل لا يقبل أن نطلب شفاعة القديسين ونتجاهل الشفيع والوسيط المعطي لنا .

شرح الصلاة الربانية :

الكلمات الأولى في الصلاة الربانية تذكرنا بأن المسيح هو طريقنا الوحيد للإتيان إلى الله . لأن الله لا يصبح " أبانا " إلا بموت المسيح من أجلنا لننال التبني ونصير أخوة له ، ومن هنا يكون أبو ربنا يسوع المسيح هو أبونا أيضاً . يقول يوحنا " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله " (يوحنا 1 : 12) . وعندما يقال عن الله إنه " في السموات " فلا يجب أن يتبادر إلى الذهن أن الله تحده حدود معينه فسليمان يقول : " هوذا السماوات وسماء السموات لا تسعك " (1ملوك 8 : 27) .

الطلبة الأولى في هذه الصلاة هي : **" ليتقدس اسمك "** . وياله من عار على الجنس البشري أن يكون محتاجاً إلى تقديس اسم خالقه . هذه الطلبة توجب على الناس أن يقدموا التقديس والمجد اللائقين بالله ، وأن يفكروا فيه ويتكلموا عنه بأقصى درجات الهيبة والوقار .

والطلبة الثانية " ليأت ملكوتك " . وهي تمثل رجاء بعيد المدى . إن الله " يملك " على الذين ينكرون ذواتهم ويتبعون البر . وبناء عليه فإننا في هذه الطلبة نلتمس من الله أن يصحح رغباتنا الخاطئة ، وأن يعيد تشكيل طبيعتنا حتى نطيعه. لذلك فإن الطريقة الصحيحة لهذه الطلبة هي أن يبدأ المرء بنفسه : " ليأت ملكوتك في " ، متضرعاً أن يحرره الله من كل ما يشوش على نظام ملكوت الله في داخله. ثم نستطيع بعد ذلك أن نصلي من أجل امتداد ملكوت الله ، وهزيمة أعداء الله . إن ملكوت الله سيأتي بالكامل عند مجيء المسيح ثانية ، ويصير الله الكل في الكل .

والطلبة الثالثة " لتكن مشيئتك " على الأرض كما في السماء " وهي تستند على الطلبة السابقة وتلقى مزيداً من الضوء على الكيفية التي سيملك بها الله على العالم . ومن الشق الأول لهذه الطلبة " لتكن مشيئتك " نتعلم أن نصلي وأفكارنا محصورة في مجد الله ، فلا نفكر في ذواتنا . ومن الشق الثاني ، نتعلم أن نسلم أنفسنا لله في كل أمورنا اليومية .

والطلبة الرابعة ، تتمثل في الصلاة من اجل الخبز اليومي . وهي لا تتعلق بالطعام فقط بل تتضمن أيضاً كل الأشياء المادية التي نحتاج إليها من الله يوماً فيوماً . لذلك فإننا باختصار نسلم أنفسنا لعناية الله من أجل الغذاء والحماية والحفظ .

أما الطلبتان الخامسة والسادسة ، فتشتملان على تضرع إلى الله من أجل ما نحتاج إليه للحصول على الحياة الأبدية : غفران الذنوب ، والنجاة من التجربة والانتصار عليها . وكلمة " ذنوبنا " في الأصل تعني أيضاً " ديوننا " ، لأننا مديونون بتسديد عقوبة هذه الذنوب . لكن بما أننا نعجز عن السداد ، فلابد أن يتم ذلك عن طريق الغفران . " ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير " ، هذه صلاة من أجل أن تكون لنا قوة الله تقودنا للنصرة على أعدائنا . إن النجاة من الشرير هنا تعني النجاة من العدو الشرير كما تعني أيضاً النجاة والتحرر من الشر والخطية ، لأن الخطية هي السلاح الذي يستخدمه عدونا الشيطان ضدنا .

إن هذا الشرح للصلاة الربانية ، لا يعني أن تقتصر صلواتنا على استخدامها حسب نصها الدقيق ، وكأنها الصلاة الوحيدة التي يجب أن ترفع إلى الله. هناك صلوات كثيرة متنوعة

في الكتاب المقدس . وكلمات كثيرة مختلفة موحى بها بالروح القدس الواحد . لكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن هذه الصلاة تعد مثالاً لنوعية الأشياء والاهتمامات التي يليق أن نصلي من أجلها .

21 – الاختيار (التعيين السابق)

من الواضح أن الله لم يقم باختيار كل الناس للخلاص . إن الإنجيل لم يبشر به في كل أجزاء العالم حتى الآن (كتب كلفن ذلك عام 1536) . وفي الأماكن التي يجرى التبشير فيها لا يقبله الجميع . يجب علينا أن نؤمن أن الله يعين وينتخب ويختار بعض الناس . إن الله لا يأتي بكل الناس – دون استثناء – إلى الخلاص . إن ما يعطيه للبعض ينكره على البعض الآخر . إن المقابلة هنا بين الضدين تنشر أشعة الضياء على نعمة الله وتبرزها بالكشف عن اختياره المحب للبعض .

كتب بولس : " قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة . فإن كان بالنعمة فليس بعد الأعمال " (رومية 11 : 5،6) لقد شعر بولس بأن هناك حاجة إلى تذكيرنا بأمر اختيارنا ، لكي يوضح لنا أن الخلاص بالنعمة وحدها . والذين يرفضون عقيدة الاختيار ، إنما يرفضون الإتضاع . لأن الأمر يتطلب تواضعاً حقيقياً لندرك أنه لا يمكننا حتى أن نبدأ في تحويل أنفسنا لتتجه نحو الله . إن الكفار والفجار يحتقرون هذه العقيدة ، لكن هذا لا يجب أن يكون سبباً يجعلنا نخفي هذه الحقيقة .

وقد علم بعض المعلمين بأن اختيار الله يتوقف بتمامه على علمه السابق، بمعنى أنه يختار فقط الذين سبق فعرف أنهم سيتحولون رجوعاً إليه . لكن مع أننا نؤمن إيماناً راسخاً بعلم الله السابق ، فإن تعليمنا هو أن اختيار الله أبعد مدى من ذلك بكثير . إن الحياة الأبدية قد عينت سابقاً للبعض ، أي أنهم اختيروا لهذا الهلاك . وهكذا يكون جميع الناس قد عينوا إما للحياة أو للموت .

إن الله يعين أو يختار جنساً ما أو أمة ما بنفس الطريقة التي يختار بها الأفراد . ولدينا مثال في طريقة الله في الاختيار فيما قاله موسى لشعب إسرائيل ، موضحاً أن السبب الوحيد

لاختيار الله لهم هو محبته المجانية : " ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم ، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم " (تثنية 7 : 7، 8) وعندما نرى أن الله قد اختار شعباً واحداً لمجرد أن يظهر محبته وإحسانه عليهم رغم عنادهم ، لا يكون لنا أي حق في مناقشة حكمه عندما يسر بأن يظهر رحمته للأفراد .

كما يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الله لا يكتفي بمجرد تقديم الخلاص للأفراد ، بل إنه يضمن قبولهم لهذا الخلاص ، ويجعله أمراً مؤكداً وثابتاً . إن المختارين قد تم اختيارهم في المسيح قبل تأسيس العالم . لذلك فإن أعضاء عائلة المسيح هم عرض وإظهار رائع لعظمة نعمة الله لأنهم بمجرد اتحادهم بالمسيح لم يعد ممكناً أن يفقدوا خلاصهم مطلقاً .

22 – مزيد من الإيضاح حول عقيدة الاختيار :

يعلم كثيرون بأن الله عرف مسبقاً أن البعض سيكونون مستحقين لنعمته واختار هؤلاء كأولاد له . لكن بولس يقول : " اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة " (أفسس 1 : 4) فلم يكن الله يتعامل معنا بحسب استحقاقنا . وعندما اختارنا لنكون قديسين لم يختارنا لأنه سبق فرأى أننا سنكون قديسين .

إن حقيقة الاختيار يعلمها الرب يسوع نفسه بوضوح قائلاً : " كل ما يعطيني الآب فإلي يقبل ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجاً " ، هذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه في اليوم الأخير " (يوحنا 6: 37،38) ، " لا يقدر أحد أن يقبل إلي إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني " (يوحنا 6: 44) .

يقول البعض ، حيث أن رسالة الإنجيل معلنة للجميع ، فإن الله يكون كمن يناقض نفسه إذا دعا جميع الناس ليأتوا إليه ولم يقبل منهم بعد ذلك سوى قلة مختارة . لكن جميع الناس – بمقتضى بشارة الإنجيل – مدعوون إلى التوبة على أن روح التوبة والإيمان لم يعط للجميع . إن هبة الإيمان نادرة ، لكن هذا لا يقلل من شأن عدم الإيمان . وفي رومية 9 : 20،21 نرى أن بولس ، يسكت أولئك الذين يقولون بأن هذا الأمر غير عادل ، فيقول ، : " من أنت أيها

الإنسان الذي تجاوب الله ؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ؟ " ، وفي نفس الإصحاح التاسع من رومية وصل الرسول بولس بالتعليم عن الاختيار إلى تحديد واضح وقاطع فقال عن إبني اسحق : " لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختبار ، ليس من الأعمال بل من الذي يدعو ... كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو " (رومية 9 : 11 – 13) .

وهناك ثلاث حجج تستخدم في مهاجمة التعيين الإلهي السابق أي الاختيار ، نلتزم هنا بالإجابة عليها فنقول :

(أ) الحجة الأولى :

كيف يظهر الله عطفه وإحسانه ، بعدم تعامله مع جميع الناس على قدم المساواة ؟ والرد هو : إن كل الناس مذنبون ، وان الله له الحق بمقتضى عدله أن يوقع عليهم حكم الدينونة لكنه في رحمته ، خلص البعض منهم .

(ب) الحجة الثانية :

إن الإيمان بعقيدة الاختيار يؤدي إلى إهمال الأعمال الحسنة ، إذ يمكن للناس الادعاء بعدم أهمية أعمالهم مادام الله قد عين من قبل ما إذا كانوا مختارين أم مرفوضين ! والرد هو : إن تعليم الكتاب المقدس كله يقف ضد مثل هؤلاء الأشرار (الذين يثبتون بذلك عدم اختيارهم) .

(ج) الحجة الثالثة :

لا حاجة للتبشير بأن يعيش الناس حياة صالحة لأن الصلاح لن يغير من الأمر شيئاً . والرد أننا قد رأينا بولس يعلم عن الاختيار بكل قوة ووضوح ، ومع ذلك لم يكن أقل قوة وحماساً في مناشدة المؤمنين بكافة السبل أن يحيوا حياة مقدسة.

وفي تعليمه للناس قال أغسطينوس بفطنة :
(حيث أننا لا نعرف من هم المختارون ، فإنه من الحكمة أن تكون لدينا رغبة أمينة في خلاص الجميع . وهكذا يكون لنا اشتياق في أن نجعل كل من نقابله شريكاً لنا في السلام . لكن ونحن نقوم بتوصيل الرسالة ، سيستقر سلامنا على أبناء السلام) .

23 – القيامة

إن السعادة الكاملة الوحيدة هي في الإتحاد بالمسيح ، وهذا أمر يمكن للمؤمنين أن يعرفوه حتى وهم على الأرض ، " فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده " 0فيلبي 3 : 20 ، 21) . إن مسألة قيامة الأموات مسألة حيوية . لأنه إن لم تكن قيامة أموات فتعاليم الكتاب المقدس كلها تصير زائفة وباطلة (1كورنثوس 15 : 14 – 19) وقد نجده أمراً صعباً أن تقوم الأجساد الفاسدة ثانية ، لكن الكتاب المقدس يقدم لنا نقطتين في هذا المجال لمساعدتنا وتشجيع إيماننا ، وهما :

1 – أن المسيح هو الضمان اليقيني الأكيد لحقيقة القيامة بعد الموت ، لأنه أخذ طبيعة بشرية وعاش حياته على الأرض ، ومن خلال الموت وصل إلى حياة الخلود والمجد الدائم . " فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام " (1كو 15 : 13) . لقد قام المسيح كرأس للحياة الجديدة ، وباكورة لما سيكون لجميع المؤمنين .

2 – إن الله كلي القدرة ، لذلك فهو قادر على إنجاز ما يعد به ، " الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء " (فيلبي 3 : 21) . إذا تأملنا في عجائب العالم حولنا ، وتذكرنا أن إلهنا المجيد يجري العجائب والمعجزات ، لا يعود أمر القيامة صعب التصديق .

إن الملحدين الفجار سيقومون ثانية أيضاً ، شأنهم في ذلك شأن المؤمنين. لكن غير المؤمنين سيتعرضون لانتقام إلهي رهيب ، يصفه الكتاب بكلمات بالغة الشدة والقسوة ، ويتحدث عن هذا الانتقام على أنه تعذيب مادي وجسدي ومعنوي . وفي هذا دلالة واضحة على

هول ما ينتظر غير المؤمنين . لكن العقاب الأكثر هولاً من العذاب الجسدي ، هو في الانفصال عن الله . يكتب عن ذلك الرسول بولس بلهجة جادة وحاسمة حين يقول : " عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته ، في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته " (2تسالونيكي 1 : 7 – 9) .

" من يعرف قوة غضبك ، وكخوفك سخطك . إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتي قلب حكمة " (مزمور 90 : 12،11) .